لأنهم أرادوا

حسن الطروشي

تروي الأدبيات العسكرية أن الزعيم الألماني هتلر كان إذا جاءه أحد قادة جيوشه شاكيا عدم قدرة الجيش على عبور الجبل يقول له: «جرِّبْ مرة أخرى»، فإذا جاءه ثانية يرد عليه قائلا: «حاول مجددا»، فإذا عاد إليه للمرة الثالثة يقول له بكل حزم: «أزيحوا الجبل»!

شبيه بذلك ما ترويه أدبيات التراث العربي عن الملك الضليل الشاعر الجاهلي امرئ القيس، عندما جاءه نبأ مقتل والده، وكان امرؤ القيس حينها ينادم صديقا ويلعب النرد، فقال قولته الشهيرة: «ضيّعني صغيرا وحمّلني دمه كبيرا. لا صحو اليوم ولا سكر غدا. اليوم خمر وغدا أمر». وهكذا بقي يحمل هذه القضية حتى مات من أجلها حينما ذهب يستنجد قيصر الروم. وقد جسد ذلك بقصيدة خالدة يقول فيها:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه

وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له: لا تبك عينك إنما

نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

هذان المثالان يجسدان نموذجين من نماذج الإصرار وقوة العزيمة والثبات على المبدأ والسير نحو تحقيقه دون تردد أو تهاون. إن التهاون أمام الصعوبات والانهيار أمام أول عقبة في طريق الحياة لن يفتحا للمرء أي باب أو يحققا أي إنجاز، وإنما على المرء أن يتخذ من المعوقات وقودا للاستمرار والمضي قدما، وكما يقول عمر المختار: «الضربات التي لا تقصم ظهرك تقويك».

***

تتحقق الكثير من الأشياء المهمة في هذا العالم لأولئك الذين أصروا على المحاولة على الرغم من عدم وجود الأمل.

ديل كارنيجي

***

إن تجارب العظماء والناجحين توضح لنا تماما أن ذلك لم يتحقق لهم لأنهم خارقون أو يمتلكون قدرات استثنائية بالضرورة، ولكنها الإرادة والعمل من أجل تحقيق الهدف، وتَحَمُّل المشاق بصبر وإصرار. يقول أسطورة الملاكمة محمد علي كلاي: «كرهت كل لحظة من التدريب ولكني كنت أقول: لا تستسلم، اتعب الآن ثم عش بطلا بقية حياتك». وهذا ما قاله المتنبي العظيم شعرا قبل ذلك:

وإذا كانَتِ النّفُوسُ كِباراً

تَعِبَتْ في مُرادِها الأجْسامُ

وقد يلتمس المرء أحيانا المعونة ويطلب المساعدة من أفراد أو جهات ما، ولكنه لا يجد من يمد له يد العون، ولا يحصل على الدعم. البعض يقف هنا ويتراجع عند الخطوة الأولى أو الثانية، وهذا هو الفشل. أما الناجح والمؤمن بهدفه فإنه لن يثبطه أو يثنيه، وإنما يواصل صعوده وكفاحه لتحقيق هدفه المنشود، وسيصل في آخر المطاف. وقد تلعب المساعدة أحيانا دورا سلبيا في تجربة الإنسان، إذ كلما تعود الشخص على تلقي المساعدة والمعونة واعتاد القوقوف على عكازات الآخرين تراخت عزيمته وركن إلى الكسل والتواكل. ولعل أوضح مثال في هذا الشأن قول أينشتاين: «أنا ممتن لكل هؤلاء الذين قالوا لي (لا)، لأني بسببهم أنجزتها بنفسي»!